

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(125) لمحمد أن يتداول السحر، ولا رصدوا عليه مأخذاً في ذلك، ولكنها تهمة الأنبياء في كل زمان ومكان، كما وصف ذلك القرآن: (كَذَلِكَ مَا أَتَى آلِ السَّادِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ " 52) (1). وأرجف بهؤلاء وأولئك القرآن العظيم، فصكهم بهذه الايمان العظمى، ليقطع دابر القول، ويكشف الحقيقة كما هي: (وَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ * الْجَوَارِ الْكُنُوسِ * وَالسَّيْلِ إِذَا عَسَسَ * وَالصَّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّ زَنْهَهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ *) (2). وأعيتهم السبل، وبان عجزهم، فنهى بعضهم بعضاً عن سماع القرآن، وأمر بعضهم بعضاً باصطناع الضوضاء عند قراءة النبي للقرآن، قال تعالى: (وَقَالَ السَّادِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ *) (3). فما غلبوا بل انتكسوا، وما انتصروا بل انهزموا، وصكهم القرآن بالإندار النهائي: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ مَا وَقَعَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (4). فحدثني أستاذي المعظم آية الله السيد محمد علي الحكيم مد الله في عمره الشريف، قال: فلما تلا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية قف لها شعر قريش. وإنتهت هذه الملحمة في الآخذ والرد والتفنيد، ويئس الكفار من جميع المناورات التكديبية الباهتة وطار هباء تكذيبهم الواهن للقرآن، وحجهم الله تعالى في كل ذلك إحتجاجاً بليغاً، أخذوا يقترحون معجزة غيره، وآية سواه: (وَيَقُولُ السَّادِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتُ رَبِّهِ) (5). وكأن القرآن ليس آية، فردهم الله رداً مفحماً، وبين عظمة هذا القرآن: (وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ) (1)

الذاريات: 52. (2) التكوير: 15 - 26. (3) فصلت: 26. (4) فصلت: 13. (5) الرعد: 27.